سلسلة خبايا الزوايا (٤٢)

آداب المتعلمين للطوسي

تحقيق د . يحيى الخشاب

مجلة معهد المخطوطات العربية
المجلد الثالث - الجزء الثاني
ربيع الثاني ١٣٧٧هـ
نوفمبر ١٩٥٧م

جامعة الدول العربية

مجلة معهد المخطوطات العربية

المجلد الثالث الجزء الثانى

ربيع الثانى ١٣٧٧

نوفمبر ١٩٥٧

كتاب آداب المتعلمين

« للطوسى »

للدكتور يحيى الخشاب

تمهيـــد

الطوسى هو أبو جعفر نصير الدين محمد بن محمد بن حسن ، ولد فى جهرود قم سنة ٥٩٧هـ ١٢٠٠م ، واشتغل فى صباه بالتحصيل والتزود من الحكمة وسافر كثيراً ليتلقى العلم على أهله ثم أقام فى طوس فترة طويلة حتى نسب إليها .

والطوسى من العلماء الذين أوتوا دقة الحسن ورهف الشعور ، وكان شيعياً ، وقد رأى ما يجرى فى عاصمة الخلافة ، بغداد ، من ضعف الخليفة وانصرافه إلى لذاته مع قيانه وجواريه ، ومن تناحر رجال الخليفة وحقد بعضهم على بعض ، وسعاية بعضهم ببعض ، وانصرافهم جميعاً عن شئون الدين والدنيا ، وكانت مقاليدها فى أيديهم ، ورأى الفتنة بين السنة والشيعة تصحو ، وأحياء للشيعة تحترق ، ومشاهد يمسها التخريب ، والخليفة ووزراؤه يرون هذا فلا يحسون بإدبار الدنيا عنهم وعن دولتهم ، ولا يحاولون درء الأذى عن الرعية أو دفع الشر عن الدين .

وخرج الطوسى من بلاد الخليفة المستعصم بالله (٦٤٠ ـ ٦٥٦ هـ ، ١٢٤٢ ـ ١٢٥٨م) عله يستريح إلى بلد تحترم فيه حرية العقيدة ويأمن فيه الناس على أموالهم وعقائدهم ، فسار إلى قهستان ، حيث كان الإسماعيلية يحكمون ، فالتحق بخدمة علاء الدين محمد بن حسن وتقرب من محتشم (أى حاكم) قهستان ناصر الدين عبد الرحيم . وكان حكام قهستان يبذلون جهداً كبيراً فى أن يزينوا بلاطهم بالعلماء والأدباء .

ولكن الطوسى لم يجد لدى الإسماعيلية ما كان يبغى من الأمن والطمأنينة ، فقد وجد نفسه بين قوم يحملونه على أن يذهب في الفكر مذهبهم ، ولم يكن يقدر على مواجهتهم بالحق الذى يراه ، وهكذا أحس بأنه استجار من الرمضاء بالنار ، وأدرك أن شراً قريباً يوشك أن يقع ببلاد المسلمين ، وأولو الأمر عنه لاهون ، والأمة التى أسلمت قيادها للخليفة ووزرائه لا تدرى من أمرها شيئاً ، وهذا التراث الإسلامى العظيم الذى يتمثل فى عشرات الألوف من الكتب والرسائل فى شتى العلوم والآداب ، والذى يرعاه فى تلكم الأيام عشرات من العلماء ، كل هذا أصبح لاحام له ولا راع ممن بيدهم الأمر فى العالم الإسلامى .

وتقدمت جحافل المغول فى القرن السابع الهجرى مكتسحة العالم الإسلامى الشرقى قطراً بعد قطر ، وكانت شهرة الطوسى ، فى علم النجوم والرصد ، قد بلغت مسامع هولاكو ، فأراد أن يكون هذا العالم فى حاشيته ، ليستعين بخبرته فى النجوم ، وليعاونه على ما يريد من الغزو . وكان الطوسى يعرف ما سيحل بالشرق الإسلامى من غارات المغول ، وكان يعلم أن البناء الذى أقامه العباسيون قد دب فيه الفناء وأن أساسه قد تقوض وألا سبيل إلى بقائه ، وأدرك أنه سيدفع كثيراً من الشر والبلاء عن المسلمين لو بقى بجانب قائد المغول الذى لا يعرف الشفقة ، وأن بقاءه وتعاونه معه خير من فراره منه وتركه وحده يفنى البشر ويقضى على الإسلام .

ويرى عباس إقبال فى تاريخه أن الطوسى ، علاوة على مقامه العلمى ، قد أدى للحضارة الفارسية الإسلامية عملين عظيمين : أولهما أنه بذل جهداً كبيراً للمحافظة على الكتب النفيسة والآثار حتى لا يهلكها المغول ، مما أتاح له أن يجمع مكتبة تحوى أربعمائة ألف مجلد . والثانى أنه استخدم نفوذه عند هولاكو لينقذ من الهلاك كثيرين من أهل العلم والأدب (١) .

* * *

ويعد الطوسى أعلم أهل زمانه ، وهو الذى أعاد للحضارة الإسلامية بهاءها وقوتها فى أحلك الظروف السياسية وأقساها على القسم الشرقى من العالم الإسلامى وهو لهذا قد استحق لقب « أستاذ البشر » .

(١) تاريخ مفصل إيران ، المجلد الأول ص ٥٠٢ .

وله ما يقرب من ثلاثة ومائة كتاب ورسالة ومقالة فى موضوعات وفنون مختلفة ، منها خمسة وعشرون كتاباً ومقالة بالفارسية [1] . وقد فصل البيان عن كتبه الأستاذ الدكتور محمد معين [2] ذاكراً أسماءها وهى فى الحكمة النظرية والعملية ، والهيئة والنجوم ، والرياضيات ، والعلوم الطبيعية ، والعلوم الدينية ، والعلوم المكنونة ، وفنون الأدب ، والتاريخ ، والجغرافية ، والتصوف.

ولشهرته الذائعة فى الزيج والرصد ، طلب منكوفا آن من أخيه هولاكو أن يوفد إليه الطوسى حتى يؤسس مرصداً فى بلاد المغول . ولكن هولاكو لم يلب رغبة أخيه وأمر بإقامة المرصد فى إيران ، وفى مراغة أنشأ الطوسى مرصداً عام ٦٥٧ – ١٢٥٨ . وقد أمده هولاكو ، وأباقا من بعده ، بعون مادى عظيم ، منه أوقاف واسعة أتاحت له أن يقتنى كثيراً من الكتب والآلات ؛ كما مكنته من الاستعانة بالعلماء المتفرغين ليتم « زيج مراغة » وقد ضمن كتابه « الزيج الإيلخانى » خلاصة ما بذله وصحبه فى هذا السبيل [3] .

* * *

ومن رسائل الطوسى هذه الرسالة التى ننشرها اليوم وهى مخطوط باللغة العربية بمكتبة جامعة القاهرة ، عدد أوراقه ٣٥ ، ١١ × ١٨ كتب بالخط النسخ المشكول ، وتحت كثير من كلماته ترجمتها أو شرح لها بالفارسية ، نمرة ٢٦١٨٤ ويبدو أن الناسخ لم يكن يتقن العربية ، فقد أكثر من الخطأ فى الشكل وفى الهجاء . ولعلها كانت فارسية وعربت .

* * *

والرسالة فى اثنى عشر فصلا :

الفصل الأول : فى ماهية العلم وفضله .

الفصل الثانى : فى النية .

الفصل الثالث : فى اختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات .

---

(١) راجع مقالين للاستاذين حسين خطيبى وذبيح الله صفا فى مجلة دانشكده أدبيات ، طهران السنة الثالثة العدد الرابع ، ص ١١ – ٢٠ ، وص ٢١ – ٢٩ .

(٢) مجلة دانشكدة أدبيات ، السنة الثالثة ، العدد الرابع ، ص ٣٠ – ٤٢ .

(٣) أنظر مقال الأستاذ آيدين صابيل أستاذ تاريخ العلوم فى جامعة أنقرة ، بالفارسية فى مجلة دانشكده أدبيات ، طهران ، السنة الثالثة ، العدد الرابع ، ص ٥٨–٧٢

الفصل الرابع : فى الجد والمواظبة والهمة .
الفصل الخامس : فى بداية السبق وقدره وترتيبه .
الفصل السادس : فى التوكل .
الفصل السابع : فى وقت التحصيل .
الفصل الثامن : فى الشفقة والنصيحة .
الفصل التاسع : فى الاستفادة .
الفصل العاشر : فى الورع فى التعليم .
الفصل الحادى عشر : فيما يورث الحفظ وما يورث النسيان .
الفصل الثانى عشر : فيما يجلب الرزق ومايمنع الرزق ومايزيد فى العمر وما ينقص

والطوسى فى هذه الرسالة يتحدث إلى الذين أخطأوا طريق العلم وتركوا شرائطه فلم يتيسر لهم التحصيل مع اجتهادهم ولم ينتفعوا بثمرات العلم مع اشتغالهم به . وهو يشرح قول النبي (صلعم) « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

ويبين المقصود من العلم . ثم يتحدث عن وجوب التأنى فى اختيار الأستاذ والتحرى فى اختيار شريك الدرس والتمعن فى اختيار مادة الدرس .

ويتحدث عن آداب الدرس ، فيذكر أنه لا يجوز للطالب أن يجلس قريباً من الأستاذ بغير ضرورة ، بل يجب أن يكون بينهما قدر القوس لأنه أقرب إلى التعظيم .

ويشرح الحكمة التى تقول من جد وجد . ويحث الطالب على المثابرة والمواظبة والمطارحة والمناظرة ، ويدعو إلى التأمل قبل الكلام .

ويبين الطوسى ما ينبغى على العالم من التفانى فى علمه والإعراض عن الحرص وجمع المال عن طريق العلم ، ويذكر أن العلماء فى القرون الأولى للإسلام كانوا يتعلمون الحرفة أولا ثم يتعلمون العلم حتى لا يطمعوا فى أموال الناس.

ويشرح الرأى القائل بطلب العلم من المهد إلى اللحد ، وبالاستفادة من تحصيله فى كل وقت ، ويحث الشباب على الإفادة من الشيوخ فانهم يبلغون الأوج حين يتقدم بهم العمر وتتضاعف الفائدة من الاستماع إليهم .

وهكذا نجد الطوسى فى رسالته هذه مؤدباً يدعو إلى نشر العلم وإلى خير الوسائل التى تؤدى إلى يسر التحصيل وآداب الدرس .

كتاب آداب المتعلمين

لنصير الدين الطوسى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه ، وأشكره على نعمائه ، والصلاة على سيد أنبيائه وخير أوصيائه ، وبعد فكثير من طلاب العلم لا يتيسر لهم التحصيل وإن اجتهدوا ، ولا ينتفعون[1] من ثمراته وإن اشتغلوا ، لأنهم (١ب) أخطئوا طريقه وتركوا شرايطه ، وكل من أخطأ الطريق ضل وأضل فلا ينال المقصود ، فأردت أن أبين طريق التعلم على سبيل الاختصار على ما رأيت فى الكتاب وسمعت من أساتيذى أولى العلم ، والله الموفق والمعين فأبين المقصود فى فصول شتى : (٢ آ)

الفصل الاول : فى ماهية [2] العلم وفضله .

اعلم أنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . والمراد هنا من العلم علم الحال ، أى العلم المحتاج إليه فى الحال الموصل إلى النفع فى المآل ، كما يقال أفضل العلم علم الحال وأفضل العمل حفظ المآل ، فيفرض على الطالب ما يصلح حاله . وشرف (٢ب) العلم لا يخفى على أحد إذ العلم هو المختص بالإنسانية ، لأن جميع الخصال سوى العلم يشترك فيه الإنسان وساير الحيوانات كالشجاعة والقوة والشفقة وغيرها ، وبه أظهر[3] الله تعالى فضل آدم عليه السلام على الملائكة وأمرهم بالسجود له وهو أيضاً [4] (٣ آ) الوسيلة إلى السعادة الأبدية إن وقع العمل على مقتضاه ، فالعلم الذى يفترض على المكلف بعينه يجب تحصيله وجبره عليه إن لم يحصل والذى يكون الاحتياج به فى الأحيان فرضاً [5] على سبيل الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، وإن لم يكن فى البلد من يقوم به اشتركوا جميعاً بتحصيله (٣ب)

---

(١) فى النص : تنفعوا .

(٢) جكونكى علم .

(٣) أظهره .

(٤) وله أيضاً هو . وتحتها بالفارسية : وجه ديكر بواسطه شرافت علم .

(٥) فرض .

بالوجوب . قيل إن علم ما يقع على نفسه فى جميع الأحوال بمنزلة الطعام لابد لكل أحد من ذلك ، وعلم ما يقع فى الأحيان بمنزلة الدواء يحتاج إليه فى بعض الأوقات ، وعلم النجوم بمنزلة المرض فتعلمه حرام لأنه يضر ولا ينفع إلا قدر مايعرف به القبلة وأوقات الصلاة وغير ذلك(٤ آ)فإنه ليس بحرام . فأما نفس العلم فهى صفة يتحلى بها لمن قامت هى المذكور به ، فينبغى لطالب العلم أن لا يغفل عن نفسه وما ينفعها وما يضرها فى أولها وآخرها فيستجلب مما ينفعها ويجتنب عما يضرها لئلا يكون عقله وعمله حجة عليه فتزداد [1] عقوبته . (٤ب)

الفصل الثانى : فى النية [2]

لابد لطالب العلم من النية فى تعلم العلم ، إذ النية هى [3] الأصل فى جميع الأفعال لقوله صلى الله عليه وآله : « إنما الأعمال بالنيات » ، فينبغى أن ينوى المتعلم بطلب العلم رضاء الله وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال وإحياء الدين وإبقاء الإسلام بالأمر (٥ آ)بالمعروف والنهى عن المنكر من نفسه ومتعلقاته ومن الغير بقدر الإمكان ، فينبغى لطالب العلم أن يصبر فى المشاق ويجتهد بقدر الوسع فلا يصرف عمره فى الدنيا الحقيرة ولا يذل نفسه بالطمع ويحترز عن التكبر .

الفصل الثالث : فى اختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات (٥ب)

وينبغى لطالب العلم أن يختار من كل علم أحسنه وما يحتاج إليه فى أمور دينه فى الحال ثم (ما) [4] يحتاج إليه فى المآل ، ويقدم علم التوحيد ويعرف الله تعالى بالدليل ، ويختار العتيق دون المحدثات ، قالوا : عليكم بالعتيق وإياكم بالمحدثات ، ويختار المتون لا الحواشى ، كما قيل عليكم بالمتون . (٦ آ) وأما اختيار الأستاذ فينبغى أن يختار الأعلم والأورع والأسن . وينبغى أن يشاور فى طلب أى علم يراد فى المشى إلى تحصيله . وإذا دخل المتعلم إلى بلد يريد أن يتعلم فيها فليكن ألا يعجل فى الاختلاط مع العلماء ، وأن يصبر شهرين حتى كان

---

(١) فيزداد .

(٢) وجاء فى الهامش : أطلب العلم لوجوبه قربة إلى الله .

(٣) هو .

(٤) ليست فى النص .

اختياره للأستاذ (٦ب) لم يؤد إلى الترك[١] والرجوع إلى الآخر فلا يبارك له ، فينبغى أن يثبت ويصبر على أستاذ وكتاب حتى لا يتركه أبتر ، وعلى فن حتى لا يشغل بفن آخر قبل أن يصير ماهراً فيه ، وعلى بلد حتى لا ينتقل إلى بلد آخر من غير ضرورة ، فان ذلك كله يفرق[٢] الأمور المقربة (٧ آ) إلى التحصيل ويشغل القلب ويضيع الأوقات . وأما اختيار الشريك فينبغى أن يختار المجد والمتورع صاحب الطبع المستقيم ويفر من الكسلان والمعطل ومكثار الكلام والمفسد والنمتان كما قيل فى الحكمة بالفارسية نظم (٧ب)[٣] :

إن صاحب السوء أشد سوء من الثعبان الشرير فاعمل ما استطعت لتجنب صاحب السوء . فشر الثعبان قاصر على الحياة ، أما صاحب السوء فشره يمس الحياة والإيمان جميعاً .

وقيل فاعتبر الأرض بإنمائها واعتبر الصاحب بالصاحب . وينبغى أن يعظم العلم وأهله بالقلب غاية التعظيم . قيل الحرمة خير من الطاعة حتى لا[٤] يأخذ الكتاب ولا يطالعه ولا يقرأ الدرس إلا مع الطهارة .

وينبغى أن يجوّد كتابة الكتاب (٨ آ) ولا يقرمط ويترك الحاشية إلا عند الضرورة ، لأنه إن عاش ندم وإن مات شتم . وينبغى أن يستمع العلم بالتعظيم والحرمة لا بالاستهانة ، ولا يختار نوعاً من العلم بنفسه بل يفوض أمره إلى أستاذه لأن الأستاذ قد حصل له التجاريب فى ذلك (٨ ب) عند التحصيل وعرف ما ينبغى لكل واحد ومايليق بطبيعته .

وينبغى لطالب العلم ألا يجلس قريباً من الأستاذ عند السبق بغير ضرورة ، بل ينبغى أن يكون بينه وبين الأستاذ قدر القوس لأنه أقرب إلى التعظيم .

---

(١) يبدو أثر النقل عن الفارسية واضحاً وكأنه يريد أن يقول : حتى لا يؤدى اختياره الأستاذ إلى الترك والرجوع إلى آخر...

(٢) تحتها بالفارسية : براكنده ميكرداند .

(٣) ذكرنا الترجمة العربية أما النص بالفارسية فهو :

يار بد بدتر بود از مار بد تا توانى ميكريز از ياربد
ماربد تنها همين برجان زند يار بد برجان وبر ايمان زند

(٤) فى النص لم .

وينبغى لطالب العلم أن يحترز عن الأخلاق الذميمة (٩آ) فانها كلاب معنوية ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا يدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة .

الفصل الرابع : فى الجد والمواظبة والهمة

ثم لا بد من الجد والمواظبة والملازمة ، قيل : من طلب شيئاً وجدّ وجد ، ومن قرع (١) باباً (٢) ولجّ ولج ؛ وقيل بقدرما سعى (٩ب) ينال ما يتمنى . وقيل يحتاج فى التعلم إلى جدّ الثلاثة المتعلم والأستاذ والأب إن كان فى الحياة .

ولا بد لطالب العلم من المواظبة على الدرس والتكرار فى أول العلم وآخره (٣) فإن ما بين العشائين ووقت السحر وقت مبارك ؛ وقيل : من أسهر نفسه بالليل فقد فرّح (١٠آ) قلبه بالنهار ، ويغتنم أيام الحداثة وعنفوان الشباب ولا يجهد (٤) نفسه جهداً يضعف النفس وينقطع عن العمل بل يستعمل الرفق فى ذلك ، فان الرفق أصل عظيم فى جميع الأشياء .

ولا بد لطالب العلم من الهمة العالية فى العلم فان المرء يطير بهمته كالطير يطير بجناحيه فلا بد (١٠ ب) أن يكون همته على حفظ جميع الكتب ليحصل البعض ، فأما إذا كانت له همة ولم يكن له جد أو كان له جد ولم تكن له همة عالية لا يحصل له إلا القليل من العلم .

وينبغى أن يبعث نفسه على التحصيل والجد والمواظبة بالتأمل فى فضائل العلوم ودقائقها فان العلم يبقى وغيره يفنى ، فان (١١آ) العلم حياة أبدية ، قيل : المؤمنون العاملون وإن ماتوا فهم أحياء . وكفى بلذة العلم داعياً للعاقل إلى تحصيله . وقد يتولد الكسل من كثرة البلغم والرطوبات وطريق تقليله تقليل الطعام ، وذلك لأن النسيان من كثرة البلغم ، وكثرة البلغم من كثرة شرب الماء ، وكثرة شرب الماء من كثرة الأكل (١١ب) ؛ والخبز

---

(١) تحتها بالفارسية بكوبد .
(٢) » » دريرا .
(٣) وآخرها .
(٤) يجتهد .

اليابس يقطع البلغم والرطوبة ، وكذا أكل الزبيب ، ولا يكثر الأكل منه حتى لا يحتاج إلى شرب الماء فيزيد البلغم . والسواك يقلل البلغم ويزيد فى الحفظ والفصـــاحة . وكذا القيء يقلل البلغم والرطوبات . وطريق تقليل الأكل التـــأمل فى منافع قلة الأكل وهى الصحة والعفة (١٢ آ) وغيرهما ، والتأمل فى مضار كثرة الأكل وهى الأمراض وكلالة الطبع وقلة الفطنة . وقيل : البطنة تذهب الفطنة .

وينبغى أن يأكل الأطعمة الدسمة ويقدم فى الأكل الألطف والأشهى ، وأن لا يسعى فى الأكل والنوم إلا لغرض الطاعات كالصلاة الصـــوم وغيرهما (١٢ ب) .

الفصل الخامس : فى بداية السبق وقدره وترتيبه .

وينبغى أن يكون بداية السبق يوم الأربعاء كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما من شيء بدء فى يوم الأربعاء إلا وقد تم . قيل : كل عمل من أعمال الخير لا بد أن يقع فى يوم الأربعاء (١٣ آ) . وهذا لأن يوم الأربعاء يوم خلق فيه النور وهو يوم نحس فى حق الكفار فيكون مباركاً للمؤمنين . وأما قدر السبق فى الابتداء ، فينبغى أن يكون قدر السبق للمبتدى قدر ما يمكن ضبطه بالإعادة مرتين بالرفق والتدريج ، فأما إذا طال السبق فى الابتداء واحتاج إلى (١٣ ب) الإعادة عشر مرات فهو فى الانتهاء أيضاً كذلك ، لأنه يعتاد كذلك ولا يترك تلك العادة إلا بجهد كثير وقد قيل : السبق حرف والتكرار ألف .

وينبغى أن يبتدىء بشيء يكون أقرب إلى فهمه ، والأساتيذ كانوا يختارون للمبتدىء صغارات [1] متوسطة [2] لأنها أقرب (١٤ آ) إلى الفهم والضبط .

وينبغى أن يعقل السبق بعد الضبط والإعادة كثيراً ، ولا يكتسب المتعلم شيئاً لا يفهمه فإنه يورث كلالة الطبع ويذهب الفطنة ويضيع أوقاته .

---

(١) بالفارسية رسالهاى كوجك أى رسائل صغيرة .

(٢) فى النص : المتوسط

وينبغى أن يجتهد فى الفهم عن الأستاذ أو بالتأمل والتفكر وكثرة التكرار ، فانه (١٤ ب) إذا قل السبق وكثر التكرار والتأمل يدرك ويفهم ، وقيل : حفظ حرفين خير من سماع وترين . وإذا تهاون فى الفهم ولم يجتهد مرة أو مرتين يعتاد ذلك فلا يفهم الكلام اليسير ، فينبغى أن لا يتهاون بل يجتهد ويدعو الله تعالى ويتضرع إليه (١٥ آ) فانه يجيب من دعاه ولا يخيب من رجاه . ولا بد لطالب العلم من المطارحة والمناظرة ، فينبغى أن يكون بالإنصاف والتأنى والتأمل فيحترز عن الشغب والغضب فان المناظرة والمذاكرة مشاورة والمشاورة إنما تكون [1] لاستخراج الصواب ، وذلك إنما يحصل بالتأمل (١٥ ب) والإنصاف ، ولا يحصل ذلك بالغضب والشغب والمشاتمة ، وفائدة المطارحة والمناظرة أقوى من فائدة مجرد التكرار لأن فيه تكراراً [2] مع زيادة ؛ قيل : مطارحة ساعة خير من تكرار شهر ، لكن إذا كان مع منصف سليم الطبع . وإياك والمذاكرة مع متعنت غير مستقيم الطبع ، (١٦ آ) فان الطبيعة مسترقة والأخلاق متعدية والمجاورة مؤثرة .

وينبغى لطالب العلم أن يكون متأملا فى جميع الأوقات فى دقائق العلوم ويعتاد ذلك ، فانما يدرك الدقائق بالتأمل ولهذا قيل : بالتأمل يدرك . ولا بد من التأمل قبل الكلام حتى يكون صواباً ، فان الكلام كالسهم فلا بد [3] من تقويمه بالتأمل (١٦ ب) قبل الكلام حتى يكون مصيباً . ذكر فى أصول الفقه هذا أصل كبير وهو أن يكون كلام الفقيه المناظر بالتأمل ويكون مستفيداً فى جميع الأحوال والأوقات ومن جميع الأشخاص . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الحكمة ، أى العلم ، ضالة المؤمن (١٧ آ) أينما وجدها أخذها . وقيل : خذ ما صفا ودع ما كدر . وليس لصحيح البدن والعقل عذر فى ترك التعلم . وللمتعلم أن يشتغل بالشكر باللسان والأركان بأن يروى الفهم والعلم ويراعى الفقراء بالمال وغيره ويطلب من الله تعالى

---

(١) فى النص : يكون .

(٢) فى النص : تكرار .

(٣) جاء تحتها : أى لطالب العلم .

التوفيق والهداية فان الله تعالى هاد لمن استهداه (١٧ب) ومن يتوكل على الله فهو حسبه ويهديه إلى صراط مستقيم .

وينبغى لطالب العلم أن يكون ذا همة عالية لا يطمع فى أموال الناس ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إياك والطمع فإنه فقر حاضر » ، ولا يبخل بما عنده من المال ، بل ينفق على نفسه وعلى غيره ، قال النبى (١٨ آ) صلى الله عليه وآله : « الناس كلهم فى الفقر مخافة الفقر » . وكان فى الزمان الأول يتعلمون الحرفة ثم يتعلمون العلم حتى لا يطمعوا [١] فى أموال الناس . وفى الحكمة : من استغنى بمال الناس افتقر . والعالم إذا كان طامعاً لا يبقى له (١٨ب) حرمة العلم ولا يقول بالحق .

وينبغى لطالب العلم أن يعد [٢] ويقدر [٣] لنفسه تقديراً فى التكرار ، فانه لا يستقر قلبه حتى [٤] يبلغ ذلك المبلغ . وينبغى أن يكرر سبق الأمس خمس [٥] مرات وسبق اليوم الذى قبل الأمس أربع مرات وسبق الذى قبله ثلاثاً والذى قبله اثنين والذى قبله واحداً فهذا أدعى (١٩ آ) إلى الحفظ والتكرار .

وينبغى ألا يعتاد المخافة فى التكرار لأن الدرس والتكرار لا بد أن يكون بقوة ونشاط ولا يجتهد بهذا الجهد نفسه لئلا ينقطع عن التكرار فخير الأمور أوسطها . ولا بد له من المداومة فى العلم من أول التحصيل إلى آخر العمر .

الفصل السادس : فى التوكل .

لابد (١٩ب) لطالب العلم من التوكل فى طلب العلم ولا يهم لأمور الرزق ولا قلبه بذلك ويصبر [٦] ، لأن طلب العلم أمر عظيم وفى تعب تحصيله أجر قوى وهو أفضل من قراءة القرآن عند أكثر العلماء ، فمن صبر على ذلك وجد لذته

---

(١) فى النص : يطمع .
(٢) تحتها بالفارسية : مهيا سازد .
(٣) فى الأصل : حتى لا . .
(٤) تحتها بالفارسية : تا آنكه غير سد .
(٥) فى النص : خمسة .
(٦) فى الاصل : وصبر

تفوق على ساير لذات الدنيا ولهذا (٢٠ آ) كان محمد بن الحسن [١] إذا سهر الليالى وانحل له المشكلات يقول : أين أبناء الملوك من هذه اللذات .

وينبغى ألا يشتغل غير العلم بشىء ولا يعرض عن الفقه والتفسير والحديث وعلم القرآن .

الفصل السابع : فى وقت التحصيل .

قيل وقت (٢٠ ب) التعلم من المهد إلى اللحد ، وأفضل أوقاته شرخ من الشباب ووقت السحر وما بين العشايين.

وينبغى أن يستغرق جميع أوقاته فاذا مل من العلم اشتغل بعلم آخر . وكان محمد بن الحسن لا ينام الليل وكان يضع عنده دفاتر ، وكان إذا مل من نوع ينظر فى نوع آخر ، وكان(٢١ آ) يضع عنده الماء ويزيل نومه بالماء وكان يقول : النوم من الحرارات .

الفصل الثامن : فى الشفقة والنصيحة .

ينبغى أن يكون صاحب العلم مشفقاً ناصحاً غير حاسد ، فالحسد يضر ولا ينفع بل يسعى بنية تحصيل كماله .

وينبغى همة المعلّم أن يصير المتعلم(٢١ب) فى قرنه عالماً ، ويشفق على تلاميذه بحيث فاق (كذا) على علماء العالم .

وينبغى لطالب العلم أن لا ينازع أحداً ولا يخاصمه لأنه يضيع أوقاته ، فالمحسن سيجزى بإحسانه والمسىء سيكفيه مساءته . قيل : عليك أن تشتغل[٢] بمصالح نفسك لا بقهر[٣] عدوك ، فاذا أقمت بمصالح نفسك تضمن بذلك[٤] قهر عدوك (٢٢ آ) وإياك والمعاداة فانها تفضحك وتضيع أوقاتك . وعليك بالتحمل لا سيما من السفهاء . وإياك أن تظن بالمومن سوء فانه منشأ العدارة ولا يحل

---

(١) هو محمد بن الحسن المهدى المستتر خوفاً من الأعداء ، كما ورد فى آخر « رسالة واجب الاعتقاد » التى تلت رسالة (آداب المتعلمين) .

(٢) فى النص : يشتغل .

(٣) فى النص : يقهر .

(٤) فى النص : ذلك .

ذلك لقوله عليه السلام : « ظنوا بالمؤمنين خيراً » ، وإنما ينشأ ذلك من حيث النية (٢٢ ب).

الفصل التاسع : فى الاستفادة .

فينبغى لطالب العلم أن يكون مستفيداً فى كل وقت حتى يحصل له الفضل . وطريق الاستفادة أن يكون معه فى كل وقت محبرة حتى يكتب ما يسمع من الفوايد . قيل : ما حفظ قر وما كتب قر . وقيل : العلم ما يؤخذ من أفواه الرجال لأنهم (٢٣ آ) يحفظون أحسن ما يسمعون ويقولون أحسن ما يحفظون . ووصى شخص لابنه بأن يحفظ كل يوم شيئاً من العلم فانه يسير وعن قريب يصير كثيراً والعمر قصير والعلم كثير . فينبغى ألا يضيع الطالب العلم له الأرقات (٢٣ب) والساعات ، ويغتنم الليالى فى الخلوات . قيل : الليل طويل فلا تقصره بمنامك والنهار مضىء فلا تكدره بآثامك .

وينبغى لطالب العلم أن يغتنم الشيوخ ويستفيد منهم ولا يتحسر لكل ما فات بل يغتنم ما حصل له فى الحال والاستقبال (٢٤ آ) .

ولا بد لطالب العلم من تحمل المشاق والمذلة فى طلب العلم . والتملق مذموم إلا فى طلب العلم ، فانه لا بد له من التملق للأستاذ والشركاء وغيرهم للاستفادة منهم . وقيل : العلم عز لاذل فيه ولا يدرك إلا بذل لا عز فيه (٢٤ب).

الفصل العاشر : فى الورع فى التعلم .

روى حديث فى هـــذا الباب عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « من لم يتورع فى تعلمه ابتلاه الله بأحد ثلاثة أشياء إما أن يميته فى شبابه أو يوقعه (٢٥ آ) فى الرساتيق أو يبتليه بخدمة السلطان » . فهما [1] كان طالب العلم أورع كان علمه أنفع والتعلم له أيسر وفوايده أكثر . ومن الورع أن يحترز عن الشبع وكثرة النوم وكثرة الكلام فيما لاينفع ، وأن يحترز عن أكل طعام السوق (٢٥ب) لأنه أقرب إلى النجاسة والخيانة وأبعد عن ذكر الله تعالى وأقرب إلى الغفلة لأن أبصار الفقراء تقع عليه ولا يقدرون على الشراء فيتأذون [2] بذلك فتذهب بركته .

(١) فى النص الفارسى : بس هركاه كه بوده باشد .

(٢) فى الأصل : فيستأذون .

وينبغى أن يحترز عن الغيبة وعن مجالسة المكثار فان من يكثر (٢٦ آ) الكلام يسرق عمرك ويضيع أوقاتك .

ومن الورع أن يجتنب من أهل الفساد والتعطيل فان المجاورة مؤثرة لا محالة . وأن يجلس مستقبلا القبلة فى حال التكرار والمطالعة ويكون مستناً [1] بسنة النبى صلى الله عليه (٢٦ب) وآله. ويغتنم دعوة أهل الخير ويحترز عن دعوة المظلوم ويطلب الهمة والاستدعاء .

فينبغى ألا يتهاون برعاية الآداب والسنن فان من تهاون بالآداب حُرِمَ [2] السنن ومن تهاون بالسنن حرم الفرايض (٢٧ آ) ومن تهاون بالفرايض حرم الآخرة ، وقال بعضهم : هذا حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ ويصلى صلاة الخاشعين فان ذلك عون على التحصيل والتعليم .

وينبغى أن يستصحب دفتراً (٢٧ب)على كل حال ليطالعه، وقيل : من لم يكن الدفتر فى كمه لم تثبت له الحكمة فى قلبه ، وينبغى أن يكون فى الدفتر بياض ، ويستصحب المحبرة ليكتب ما يسمع ، كما قال النبى صلى الله عليه وآله لهلال بن يسار(٢٨ آ) حين قر له العلم والحكمة : هل معك محبرة .

الفصل الحادى عشر [3] : فيما يورث الحفظ وما يورث النسيان .

وأقوى أسباب الحفظ الجد والمواظبة وتقليل الغذاء وصلاة الليل بالخضوع والخشوع . وقراءة (٢٨ب)القرآن من أسباب الحفظ ، قيل : ليس شىء أزيد للحفظ من قراءة القرآن لاسيما آية الكرسى . وقراءة القرآن نظراً أفضل لقوله عليه السلام : أفضل أعمال أمتى قراءة القرآن نظراً . وتكثير الصلاة (٢٩ آ) على النبى صلى الله عليه وآله وسلم . والسواك وشرب العسل وأكل الكندر مع السكر وأكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء فى كل يوم على الريق يورث الحفظ ويشفى كثيراً من الأمراض والأسقام وكل(٢٩ب) ما يقلل البلغم والرطوبات يزيد الحفظ وكل ما يزيد فى البلغم يورث النسيان وأما ما يورث

---

(١) فى النص : متسنا .

(٢) تحتها بالفارسية : محروم ماند از سنيتها وفى الأصل « أحرم ».

(٣) فى النص : فصل حادى عشر .

النسيان فالمعاصى كثيراً وكثرة الهموم والأحزان فى أمور الدنيا وكثرة الاشتغال والعلايق . وقد ذكرنا[1] لأنه(٣٠ آ)لاينبغى للعاقل أن يهم لأمور الدنيا لأنه يضر ولا ينفع . وهموم الدنيا لا تخلو عن الظلمة فى القلب وهموم الآخرة لا تخلو عن النور فى القلب وتحصيل العلوم ينفى الهم والحزن . وأكل الكزبرة(٣٠ب) والتفاح الحامض والنظر إلى المصلوب[2] وقراءة[3] لوح القبور والمرور بين أقطار الجمل وإلقاء القمل الحى على الأرض والحجامة على الفقرة[4] القفا ، كل ذلك يورث النسيان .

الفصل الثانى عشر : فيما يجلب الرزق وما (٣١ آ) يمنع الرزق وما يزيد فى العمر وما ينقص .

ثم لا بد لطالب العلم من القوة ومعرفة ما يزيد فيه وما يزيد فى العمر وما ينقص والصحة ليكون فراغ البال فى طلب العلم وفى كل ذلك صنفوا كتاباً فأوردت البعض هاهنا(٣١ب)على الاختصار . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا يزيد الرزق ولا يزيد القدر إلا الدعاء ولا يزيد العمر إلا البر » ، فيثبت بهذا الحديث أن ارتكاب الذنب سبب حرمان الرزق ، خصوصاً الكذب يورث الفقر ، وقد ورد فى حديث خاص لذلك ، (٣٢ آ) وكذا الصبحة[5] تمنع[6] الرزق ، وكذا كثرة النوم ، ثم النوم عريانا ، والبول عريانا ، والأكل والشرب جنباً ، والتهاون بسقاط المائدة ، وحرق قشر البصل والثوم ، وكنس البيت فى الليل ، وترك القمامة فى البيت ، والمشى قدام المشايخ ، ونداء الأبوين باسمهما (٣٢ب) والخلال بكل خشبة ، وغسل اليدين بالطين والتراب ، والجلوس على العتبة ، والاتكاء على أحد زوجى الباب ، والتوضؤ فى المبرز ، وخياطة الثوب على جسده ، وتجفيف الوجه بالثوب ، وترك بيت العنكبوت فى البيت(٣٣ آ) والتهاون بالصلاة ، وإسراع الخروج من المسجد ، والابتكار[7]

(١) هكذا فى النص وتحته بالفارسية : بتحقيق كه ذكر كرديم آنرا .
(٢) تحته بالفارسية : از خلق بركشيده .
(٣) فى النص : القراءة .
(٤) تحته بالفارسية : برميان بشت كردن .
(٥) تحته بالفارسية : خوابيدن در صبح .
(٦) فى النص : يمنع .
(٧) فى الفارسية : بكر رفتن به بازار كه هيچ كس نرفته .

فى الذهاب إلى السوق ، والابطاء فى الرجوع ، وشراء كسرات الخبز من الفقراء والسائلين ، ودعاء الشر على الوالدين ، وترك تخمير الأوانى ، وإطفاء(٣٣ب) السراج بالنفس ، كل ذلك يورث الفقر ، عرف ذلك بالآثار ، وكذا الكتابة بقلم معقود ، والامتشاط بمشط متكسر ، وترك الدعاء للوالدين ، والتعمم قاعداً ، والتسرول قائماً ، والبخل والتقتر والإسراف والكسل والسؤال والتهاون فى الأمور (٣٤ آ) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « استنزلوا الرزق بالصدقة » ، والشكر والبكور مبارك يزيد فى جميع النعم خصوصاً فى الرزق ، وحسن الخط من مفاتيح الرزق ، وطيب الكلام يزيد فى الرزق . وعن حسن ابن على عليهما السلام : « ترك الزناء وكنس الفناء[1] وغسل الإناء مجلبة(٣٤ب) للغناء » ، وأقوى الأسباب الجالبة للرزق إقامة الصلاة بالتعظيم والخشوع وقراءة سورة الواقعة خصوصاً بالليل ووقت العشاء ، وسورة يس وتبارك الذى بيده الملك وقت الصبح ، وحضور المسجد قبل الأذان ، والمداومة على الطهارة ، وأداء سنة الفجر والوتر فى البيت ، وأن لا يتكلم بكلام اللغو ، قيل : من اشتغل بما لا يعنيه يفوته(٣٥ آ) ما يعنيه ؛ قال أمير المؤمنين على عليه السلام : « إذا تم العقل نقص الكلام » . ومما يزيد فى العمر ترك الأذى وتوقير الشيوخ وصلة الرحم ، وأن يحترز عن قطع الأشجار الرطبة إلا عند الضرورة وإسباغ [2] الوضوء وحفظ الصحة ، ولا بد من أن يتعلم شيئاً من الطب (٣٥ب) ، ويتبرك بالآثار الواردة فى الطب الذى جمعه الشيخ الإمام أبو العباس المستغفرى فى كتابه المسمى بطب النبى صلى الله عليه وآله ، يجده من يطلبه والله أعلم .

تمت الرسالة الشريفة المسماة [3] بآداب المتعلمين لشيخ الملة والدين خواجه نصير الدين الطوسى رحمة الله عليه فى يد المذنب العاصى الفقير المحتاج برحمة الله الملك الباقى محمد ابراهيم الفانى فى سلخ شهر رجب المرجب فى سنة ١٠٤٩ (٣٦ آ) .

---

(١) تحته بالفارسية : روفتن كرد كرد خانه .

(٢) فى النص : واسياغ ؛ وتحته بالفارسية : مراد افعال واجب وسنتى وضوء رايجاى آوردن است

(٣) فى النص : المسمى .